رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 9- سورة النحل | من الأية 66 إلى 07

عبدالرحمن العجلان

الشيطان الرجيم وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرس من بين فرس ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكره ورزقا حسنا - 00:00:00

ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يبين تعالى لعباده شيئا من نعمه ومن لطيف حكمة ما يطعمون وما يشربون ونبههم الى ان يتفكروا فيما بين ايديهم وما حولهم وفي انفسهم - 00:00:27

ليستدلوا بذلك على عظمة الخالق جل وعلا وعلى حكمته وعلى حسن تدبيره وعلى لطفه بعباده في تيسير المطعم والمشرب لهم وكيف تكون هذا الطعام وهذا الشهاد كيف تكون حتى صار لهم - 00:01:21

رزقا حسنا يقول جل وعلا وانا لكم في الانعام لعبرة الانعام الابن والبقر والغنم سوء الطلاق كلمة الانعام على الثلاثة وعلى كل واحد منها وان لكم في الانعام لعبرة محل اعتبار - 00:02:02

وتذكر وتأمل ثم نبه على مكان الاعتذار الذي هو مقصودا لهم ومرغوبا فيه ويطلبونه ويحرصون عليه لعبرة نسقيكم مما في بطونه نسقيكم مما في بطونه بطونه جعل الضمير مذكر وورد في اية اخرى مما في بطونها مؤنث - 00:02:43

ويصح هذا وهذا في اللغة العربية الفصحى وعود الضمير جعل الضمير المذكر معناه يعود حينما ذكر او الى الحيوان نسقيكم مما في بطونه بطون ما ذكر من الحيوان ويعود مؤنث - 00:03:37

الى الانعام على انها جمع ويعود ويذكر على انه مفرد المعنى واللفظ والله جل وعلا ينوع السياق والتعبير لعباده نسقيكم مما في بطونه من بين خرث ودم لبنا خالصا نسقيكم - 00:04:08

لبنا خالصا يخرج من هذا الحيوان من بين شرف ودم ليس فيه شيء من لون الدم المستحضر وليس فيه شيء من رائحة الفرس وهو ما يثقل من معدة الحيوان فينزل - 00:04:48

ويخرج من الخارج من بين طرف ودم من اين يتكون هذا اللبن ومن اين يتكون هذا الدم ومن اين يتكون هذا الفرس كلها تتكون من الطعم الذي يطعمه الحيوان وبقدرة الله جل وعلا وتحويله وتكريره لهذا المأكول - 00:05:23

تخرج هذه الاصناف اللبن يتغذى به الانسان وصغار بهيمة الانعام والدم للجسم يتغذى به وينمو به يخرج من بين صرف ودم يخرج لبنا خالصا فهذه نعمة عظيمة وتزيد المتفكر والمتأمل - 00:06:00

ايمانا بالله جل وعلا وقد ذكر الامام الفخر الرازي رحمه الله عن بعض الحكماء ما ادركوه من هذا التكريم الذي يحصل في جسم الحيوان من الغذاء الذي يأكله وقال ان الحيوان - 00:06:48

اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه كما كان منه صافيا ان كذب الى الكبد - 00:07:22

وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويثور دما وهو العظم الثاني ويكون ذلك مخلوطا الصفراء والسوداء وزيادة المائية واما الصفراء فتذهب الى المرارة - 00:07:51

واما السوداء فتذهب الى الطحال واما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم ويذهب في الاوردة وهي العروق النابثة

من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث التكرير الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق - 00:08:21
كثيرة وينصب الدم من تلك العروق الى الضرر والزرع لحم غددي رخوي ابيض ويطلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخوي الابيظ فيصير الدم لبنا - 00:08:51
فهذه صورة تكون اللبن في الذرع اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المعقولة الحاصلة في الكرش اللبن تولد اولا من الفرس ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى - 00:09:17
بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين خرس ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ومساء من ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن وكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحل - 00:09:47
وما كان كفيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله جل وعلا خالصا يعني من شوائب قدرة الدم والفرص للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا واللبن نعمة من الله جل وعلا وهو احسن غذاء - 00:10:19
ولهذا كان الغذاء الوحيد للطفل والربيع ولصغاري الحيوانات ثم بعدما يكبر ويتناول الطعام يكون عنده استعداد للعظم يتناول الطعام بعد ذلك. وفي حال الصغر يكفيه اللبن وهو غذاء كامل وسهل كما وصفه الله جل وعلا فما نقل ان احدا غص في اللبن - 00:10:52
لان الله جل وعلا قال سائغا للشاربين فهو نعمة يتأملها العبد فيما حوله ليدرك عظمة الخالق جل وعلا وكمال قدرته ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من ثمرات النخيل - 00:11:27
والاعناب من ثمر النخل وثمر العنب يتخذ منه سكرا ورزقا حسنا. ما المراد بسكر قيل المراد به المسكر يتخذ منه الخمر وكيف يمتن الله جل وعلا على عباده في استخراجهم - 00:12:02
هذا السراد ثم هو محرم قال العلماء رحمهم الله نزول هذه الاية قبل تحريم الخمر وان هذه السورة مكية نزلت والرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قبل ان يهاجر الى المدينة - 00:12:30
ونزول تحريم الخمر كان في المدينة. وكان في سورة المائدة وهي من اواخر ما نزل وكان نزول هذه الاية قبل تحريم الخمر هذا من ناحية من ناحية ثانية ومثلت بعض العلماء - 00:12:55
رحمهم الله لان هذه الاية في سياقها تدل قد يؤخذ منها دلالة على تحريم الخمر. حاظرا او مستقبلا لان الله جل وعلا قال تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ووصف الرزق - 00:13:19
لانه حسد وسكت عن السكر وقيل المراد بالسكر ما يسد الجوع من قولهم ذكرت النهر الى وقيل المراد بالسكر النبيل الذي لم يصل الى درجة الخمر وبلغة قوم يطلق السكر على النبيل الذي لم يتخمر - 00:13:47
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا رزقا حسنا التمر والعنب والخلف والدبس وغير ذلك من ما يستنتج من هذه الثمار الطيبة ان في ذلك لاية لقوم يعقلون في هذا الاستخراج وهذا الانتاج - 00:14:25
وهذا الطعام الطيب والشراب اللذيذ الذي يخرج من هذه المخلوقات لله جل وعلا فيها دلالة واية وعبرة لمن استعمل عقله وفق لاستعمال عقله والتفكر في ايات الله وفي مخلوقاته انظر الى النخل - 00:15:02
لونه وشكله واحد ويشقى بماء واحد ويتخرج ويخرج منه مئات الاشكال من الطعون مختلفة في طعمها وشكلها واللذة بها وانظر الى شجرة العنب شجره شكله واحد واشكاله انواعه متعددة مختلفة - 00:15:29
ماؤه واحد وتربته واحدة وشكل الاغصان واحد باذن الله يختلف اختلافا عظيما بالتأمل في هذه الامور والتذكر يزداد ايمان العبد بالله جل وعلا وقدرته وحسن خلقه وفعله جل وعلا تبارك الله احسن الخالقين - 00:16:02
يقول الله جل وعلا واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس - 00:16:37
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وهذه لفتة من الرب الكريم جل وعلا ينبه عباده الى ما في هذا الحيوان الظعيف المهيب ماذا يحصل منه وكيف تصرفه وعمله لابد ان له مقدر - 00:17:10

لابد ان له موجه وملهم هو الله جل وعلا واوحى ربك الى النحل الايحاء يأتي بمعنى الالهام مثل هذه الاية وهذا يختلف عن الايحاء الى الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم - 00:17:53

فيوحي الله جل وعلا اليهم يلقي في قلوبهم او يرسل اليهم الملك والحيوان يلهمه الله جل وعلا واوحى ربك الى النحل والنحل كلمة تطلق على الجنة يفرق بينه وبين مفرده بالتاء - 00:18:35

الواحد منه نحلة مثل شجر وشجرة اوحى الى اوحى الله جل وعلا اليها الهمها من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون تتخذ بيوتا في الجبال وتتخذ بيوتا في الشجر في البرية في الاماكن البعيدة - 00:19:14

وتتخذ بيوتا في العرش وما يعرف يجعل في الظل والنحل منه ما هو مستأنس يكون في المزارع وفي البيوت وفي المناحل المعدة له من قبل الناس ومنه ما هو متوحش - 00:19:57

لا يستأنس ولا يأتي الى الاماكن التي فيها احد وانما يكون في الجبال كهوف الجبال وفي الاشجار في البرية البعيدة ثم قولي من كل الثمرات الهمها الله جل وعلا بان تأكل - 00:20:29

مما لذ لها وطاب من الثمار وهي تأكل من الزهور الطيبة لا تأكلوا كل طعام وانما تختار الزهور الطيبة ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك اسلكي توجهوا مع الطريق - 00:20:54

تطير مع طرق مهيئة لها لا يستطيعها الانسان فهي تصل الى ما لا يصل اليه الانسان اذا كانت في الاماكن البعيدة رب في طرق تسير في الطرق والله جل وعلا لفت نظر عباده - 00:21:36

بهذه الكلمة بانها تخرج من بيوتها وتذهب في طلب الرزق وتعود الى بيوتها فلا تضع عسلها الا في بيوتها المعدة لها من قبلها او من قبل الناس توع عسلها في اي مكان - 00:22:21

المسائل الطيور مثلا تقذف في اي مكان لا بل مهما ذهبت بعيدا او قريبا تعود الى وكرها والى مكانها الذي فيه السمع الذي قطع فيه العسل الى ربك ظللا مدللة يعني الطريق مدللة ميسرة - 00:22:50

من السبل اوحال من الضمير المخاطبة يعني حالة كونك مدللة مسخرة للناس تضعوا لهم هذا العسل الطيب اللذيذ في الاماكن التي يريدونها ولا تضعوا عسلها عند غير صاحبها اذا كانت مستأنسة - 00:23:16

فهي مدللة وفي تدبير العسل لاموره تدبير النحل لاموره عجائب عظيمة وهي طيور كالذباب لكن لها تدبير عجيب لها ملك من بينها وتختار اكبرها جسما واحسنها شكلا وتطيعه في جميع اوامره - 00:23:59

ويسمى اليعسوب ملك النحل ثم هو يتولى توظيف كل فريق منها ولا يتجاوز ما وظن له منها ما يكون حارس بمدخل خلية النحل ولا يشتغل بغير ذلك ومنها ما يكون مهمته تجميع الشمع - 00:24:39

والشمع مجمع على الاجنحة تجمعه على الاجنحة وتبنيه ومنها ما تكون مختصة بالبناء بنا هذا الشمع سداسية متكاملة لا فراغ فيها ومنها ما يكون متخصص بنقل الماء لاجل البناء ومنها ما يكون متخصصا بانتاج العسل - 00:25:20

فهذا عمل وتدبير مخلوق من اضعف مخلوقات الله جل وعلا وكل هذا بالهام الله جل وعلا وتدبيره وهذه النحل في مملكتها لطائف وامور عجيبة لمن تأملها يخرج من بطونها شراب - 00:25:56

يخرج من بطونها بطون هذه النحل فهو العسل مختلف الوانه منه الاصفر ومنه الاحمر ومنه الابيض مختلف فيه شفاء للناس فيه شفاء يشفي باذن الله جل وعلا من كثير من الامراض - 00:26:38

قال بعض المفسرين فيه شفاء لبعض الامراض وقال بعضهم شفاء لكل الامراض كيف ذلك قال بعضهم شفاء في بعض الامراض التي تناسب تكون متصفة بصفتي البرودة ستعالج بالعسل لان فيه الحرارة - 00:27:23

وقال ان الله جل وعلا قال فيه شفاء للناس ولم يقل فيه الشفاء فيعود قال فيه شفاء والمراد للبعض بعض الادواء قال بعضهم فيه شفاء من كل الامراض فيه شفاء من كل الامراض - 00:28:06

اذا اضيف له معه غيره لانه قل ان يوجد مخلوق ومعجون من المعاجين الا ومعه شيء من العسل ينفع فيقول الكل كل الامراض اذا

خلق معه غيره اللي يناسب لهذا المرض - 00:28:34
والعسل مناسب للجميع لكنه يحتاج في بعض الامراض الى خلق معه يخلط معه الحبة السوداء او غيرها وقال بعضهم بل فيه شفاء من كل الامراض اذا اعتقد المسلم ايمانا فلو لم يكن العسل يناسب هذا المرض الله جل وعلا يجعله - 00:28:59
اذا صدق العقد التصديق الكامل بكلام الله جل وعلا واستعمل هذا الدواء على انه شفاء فالله جل وعلا يلطف به ويجعله شفاء له معه اسهال فقال النبي صلى الله عليه وسلم له اسقه عسلا - 00:29:30
فسقاه عسل والاسهال حار في المعدة نتيجة الحرارة والعسل حار فسقاه عسلا ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سقيته عسلا فزاد السطل اقلاقا زاد الالم معه والخارج - 00:30:00
فقال النبي صلى الله عليه يا رسول الله زاده السقا وقال عليه الصلاة والسلام في المرة الثالثة او الرابعة عشقه عسلا صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه عسلا فاستمسك باذن الله ونفى - 00:30:25
قال بعض العلماء المختصين العارفين لشيء من الطب نعم هذا علاج ونافع هذا الطب النبوي لا اشكال فيه لكن يلتمس له توجيه لنا لنفهم ذلك وقال ان المعدة تراكمت فيها الاخلاق - 00:30:51
وثقلت ونتيجة لذلك صار معه الاسهال فجاء الى النبي الاخ يشتكي الم اخيه فقال اسقه عسلا فسقاه العسل حار وهذه المتراكمة في المعدة لما جاءها العسل حللها مخرج الفضلات فسقاه عسلا في المرة الثالثة فزاد - 00:31:19
فلما نظفها من الاخلاق الرديئة والوضع تمسك باذن الله وغسل المعدة ونظفها من الاخلاق الرديئة باذن الله نبوي عظيم ونافع والله جل وعلا يقول فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون - 00:31:58
يروى عن علي رضي الله عنه انه قال ما اصابه مرض اخذ من زوجته درهما او اكثر من ذلك واشترى به عسلا وخلطه بماء السماء نفع باذن الله فقيل له في ذلك - 00:32:36
وقال هذا في كتاب الله سماء السماء ماء طهور والدرهم من الزوجة ولعله يكون من مهرها اذا طالت بذلك نفسا وقد امتدحه الله جل وعلا بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا - 00:33:09
فكلوه هنيئا مريئا والعسل شفاء فاذا جمع بين العسل وماء المطر وقيمته تكون من مهر الزوجة اذا طابت بذلك نفسا النساء صدقاتهن رحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا - 00:33:43
وكلوه هنيئا مريئا ويروى عن بعض السلف رحمه الله انه كان اذا اشتكى اخذ من زوجته درهمين من مهرها واشترى به طعاما او عسلا فاكله فيشفى باذن الله والنبي صلى الله عليه وسلم رغب في استعمال - 00:34:15
العسل فقال عليكم بالشفائين العسل والقرآن العسل والقرآن الرقية والمروي عن علي رضي الله عنه في زيادة القرآن قال يكتب بلوح شيء من ايات القرآن وتغسل بشيء من ماء المطر - 00:34:47
ويخلط معه شيء من العسل قيمتها من نهر الزوجة اذا طابت بذلك نفسا ما يكون فيه الشفاء باذن الله فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون. الاية علامة - 00:35:19
لمن تفكر وتأمل في ايات الله وفي مخلوقاته فان تفكره هذا يزيده ايمانا بالله جل وعلا وقد حث الله جل وعلا عباده على التفكر والتأمل والنظر ليدركوا بذلك شيئا من حكمة الله جل وعلا التي اودعها في شيء من مخلوقاته - 00:35:43
ثم لفت جل وعلا نظر عباده الى انفسهم لفت نظرهم الى ما في انفسهم وقال جل وعلا والله خلقكم ثم يتوفاكم. ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد - 00:36:21
هل من شيئا ان الله عليم قدير منظر ايها العبد الى نفسك تكونت في بطن امك ثم خرجت الى هذه الدنيا تنمو بها ثم الوفاة بعد ذلك ومنكم من يرد الى ارذل العمر - 00:36:49
ومنكم من يرد الى ارذل العمر من الناس من يموت كبيرا ما نقص وادراكه وتفكيره وعقله وعلمه ومنهم من يرد الى ارذل العمر وعدنا واحقر الحال ومنكم من يرد الى ارذل العمر - 00:37:31

فيكون كالطفل الصغير الذي لا يعقل وعمر الانسان اذا استكمله مقسم اذا وصل الى الشيخوخة والا فكل انسان لا يموت حتى يستكمل عمره قل او او قال لكن اذا وصل الى حد الشيخوخة - 00:38:10

وهو مقسم الى مراحل المرحلة الاولى مرحلة النمو من حين ولد الى ان يبلغ ثلاثا وثلاثين سنة فهو في نمو مستمر باذن الله ثم مرحلة الاستقرار من ثلاث وثلاثين الى الاربعين - 00:38:42

وبها يكمن يكون في منتهى كمال العقل والادراك ثم تبدأ مرحلة الكهولة من الاربعين الى الستين يبدأ النقص الخفي وغير الظاهر وبعد الستين الى ان ينتهي عمره مرحلة الشيخوخة وفيها يكون النقص الظاهر الواضح - 00:39:11

التحول ومن الناس في هذا التحول من يصل الى حد كل الطفولة كأنه طفل رضيع ومنهم من يفقد عقله فلا يحسن التصرف اطلاقا ومنهم من يمتعه الله جل وعلا بعقله وادراكه وان كان فيه نقص - 00:39:48

روي ان من قرأ القرآن وعمل به فانه لا يرد الى ارذل العمر تمتع بادراكه وعقله ويسبح ذلك في كتاب الله جل وعلا حيث يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم - 00:40:20

ثم اسفل سافلين في احقر حال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يردون باذن الله الى اسفل السافلين واننا يحفظ الله عليهم ادراكهم وحواسهم ومنكم من يرد الى العمر لكي - 00:40:47

لا يعلم من بعد علم شيئا لكي لا يدرك بعدما كان يعلم ويعرف ويتصرف ويكتشف أنواع المكاسب يبقى مخرف لا يدرك شيء ينسى ما كان يعرفه لكي لا يعلم من بعد علم شيئا - 00:41:20

ينسى معلوماته السابقة وتصرفاته واعماله يكون فكر يغلق عليه الباب والا يخرج ويرمي نفسه في المهالك لانه كالطفل او كالبهيمة المعلومات التي عنده هو الفكر والادراك والعمل وجوه المكاسب التي يتخذها ذهبت وضاعت راحت - 00:41:59

يري الله جل وعلا عباده ان قوتهم وادراكهم وكسبهم وعملهم في حال النشاط بفضل من الله جل وعلا منهم ولا يستطيعون ان يعملوا شيئا لانفسهم الا بتوفيق الله جل وعلا - 00:42:26

فهذا الكبير الذي كبر كان في حال شبابه وكهولته مدرك فسلبه الله جل وعلا ما عنده من العلم والادراك لينبه عباده انه هو الذي اعطاهم العلم وهو الذي يسلبه منهم - 00:42:51

اعطاهم المعرفة والعقل والادراك ويسلبه منهم كما انه قادر على العطاء وعلى السلب وهو قادر على البعث بعد ذلك. قادر على اعادتهم كما كانوا لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وليس هذا للكل - 00:43:20

كما تقدم وانما هو للبعض والله جل وعلا نبه على ذلك بقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر ليس كلكم منكم من يرد ومنكم من لا يرد اذا ارد للعمر بل يمتع بعقله وادراكه وحسن تصرفه الى ان يتوفاه الله جل وعلا وان - 00:43:48

وان بلغ المئة ويوجد من بلغ المئة وعنده الادراك الكامل ويوجد من تدركه الشيخوخة بعد الستين بقليل والتخريف وعدم الادراك وكل هذا من عند الله جل وعلا. والله جل وعلا يلفت نظر عباده الى انفسهم ليتأملوا - 00:44:13

وليتفكروا وليتدبروا لمن حولهم وفي انفسهم والله جل وعلا يقول وفي انفسكم افلا تبصرون فلو ان المرأة تفكر في حالة وفي مبدأ نشأته وفي مآله بعد ذلك بعد كبره ومآل من حوله ممن كبر ماذا صاروا اليه - 00:44:44

لادرك قدرة الله جل وعلا على كل شيء وانه القادر وانه الحكيم وانه اللطيف بعباده ان الله عليم عليم باحوال عباده لا تخفى عليه خافية ناسب هنا جل وعلا ان يختم هذه الاية بالعلم - 00:45:20

والقدرة بالاحوال ومن يصلح لهذا ومن لا يصلح لهذا ومن هو صالح للاستمتاع بادراكه وعقله وقوته ومن ليس صالحا لذلك قدير على ما اراده جل وعلا العبد قد يريد شيئا - 00:45:48

لكنه لا يقدر عليه وقد يعلم ولكن لا يقدر والله جل وعلا عليم. باحوال عباده قدير على التصرف الفعل على ما يشاء جل وعلا والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:46:18

وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:46:43